المنهج التاريخي

يعد المنهج التاريخي من المناهج الاولى التي ظهرت في العصر الحديث ، وكان أكثر اعتمادا في مجال البحث العلمي ، عني بتتبع الظواهر الكبرى في الادب ودراسة تطورها . وقد ارتبط في ظهوره اواخر القرن التاسع عشر بالنقد العلمي -1- ، ومن أبرز أعلامه من النقاد الفرنسيين ( سانت بوف ، وهيبوليت تين ، وفرديناند برونتيير) .

ينطلق المنهج التاريخي من الحوادث التاريخية والاجتماعية والسياسية لتفسير الادب وتعليل ظواهره ، وخصائصه ، ومن أهم ما يهتم به تحقيق النصوص ، وتوثيقها .وبتعبير اخر هو قراءة تاريخية في خطاب النقد الادبي تسعى إلى تفسير نشأة الأثر الادبي من خلال ربطه بزمانه ومكانه وشخصياته ، أي أن التاريخ هنا يكون خادما للنص ، ودراسته لا تكون هدفا قائما بذاته ، بل ترتبط بخدمة هذا النص .

إن ما يستوجب ذكره في هذا المقام أن الباحثين اختلفوا حول هذا المنهج في دراسة الادب ، وتولد عن هذا الاختلاف رأيان الاول منهما يرى وجوب معرفة الاديب من أدبه ، بينما يذهب الثاني إلى وجوب معرفة الاديب من خلال بيئته التي نشأ فيها . ومن ابرز أتباع المسلك الاول الناقد الفرنسي الشهير ( سانت بوف ) الذي يرى من اللازم " أن يؤخذ من محبرة كل مؤلف الحبر الذي يراد رسمه به " فشخصية الكاتب عند (سانت بوف ) يتحقق الوصول إليها من خلال كتابته فيفهمه قراؤه .

ومن أنصار هذا الإتجاه في النقد العربي الحديث الناقد المصري عباس محمود العقاد الذي يعتقد أن المبدع ينبغي أن يعرف من من أدبه ، ولذلك نجده يقول : " إن الأديب الذي لا يمكن العثور على الفرد الاصيل في أدبه لا يستحق أن يدرسه الدارسون " الامر الذي دفعه إلى تأليف كتاب عن الشاعر العباسي ابن الرومي بعنوان " ابن الرومي حياته من شعره " .

في حين يمثل الرأي الثاني الشاعر والناقد الانجليزي ( كولريدج ) ، فقد كان من دعاة ربط الاديب بالبيئة ، ومن أنصار هذا الرأي في النقد العربي الحديث عميد الادب العربي طه حسين .

ويذهب الناقد التونسي (عبد السلام المسدي ) إلى أن المنهج التاريخي اوسع من هذا ، حيث يراه عبارة عن سلسلة من المعادلات حددها بقوله : " فهو ير تكز على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية ، فالنص ثمرة لصاحبه ، والاديب صورة لثقافته ، والثقافة إفراز للبيئة ، والبيئة جز ء من التاريخ ، فإذن النقد تاريخ للادب من خلال البيئة " .-2-

وإذا كان المنهج التاريخي قد ارتبط عند ظهوره بالنقد العلمي على أيدي النقاد الفرنسيين من أمثال (سانت بوف ، وهيبوليت تين ، وفرديناند برونتيير ) . قإنه لم يتبلور ،وتتحدد قسماته الا على يد الناقد (غوستاف لانسون 1857-1934 ) حيث اصبح يعرف بالانتساب إليه ( اللانسونية ) إن ولوعه وانشغاله بالمنهج يبدو من خلال ما كان يقوم به من انشطة واعمال ، فقد ألقى محاضرة بجامعة بروكسل ببلجيكا عام1909حول " الروح العلمية ومنهج تاريخ الادب " ثم أتبع ذلك بنشر مقالته الشهيرة في مجلة الشهر عام 1910 تحت عنوان " منهح البحث في تاريخ الادب " ،حيث اهتم بتحديد خطوات المنهج التاريخي فغدت تلك المقالة " قانون اللانسونية و دستورها المتبع " -3-.

أما اعتماد المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث ، فيعود إلى الربع الاخير من القرن التاسع عشرمن قبل النقاد الذين عادوا من الجامعة الفرنسية متاثرين بمناهج اساتذتهم مثل احمد ضيف ، وطه حسين ، وزكي مبارك ، ومحمد مندورالذي مثل في تقدير الباحث (وغليسي) الجسر التاريخي بين النقدين الفرنسي والعربي ، وإليه يرجع الفضل في ارساء دعائم اللانسونية في النقد العربي الحديث، والتعريف بالناقد الفرنسي لانسون من خلال ترجمته لمقالته الى اللغة العربية التي تضمنها كتابه " النقد المنهجي عند العرب"-4-.

1-ينظر يوسف وغليسي ، مناهج النقد الادبي الحديث، جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر , 2007ص16.

2-عبد السلام المسدي ، في آليات النقد الادبي ،دار الجنوب ، تونس ،1994،ص79.

3- مبارك حنون ، اللانسونية ، نقلا عن يوسف وغليسي ، المرجع السابق ،ص18.

4- ينظر مقال لانسون ، ترجمة محمد مندور، النقد المنهحي عند العرب ، 391.

لقد أخذ النقد العربي المعتمد على المنهج التاريخي في الامتداد ، والإنتشاربين أوساط الاكاديميين العرب في الستينيات من القرن الماضي عبر مختلف جامعات الوطن العربي .من هؤلاءالنقاد نذكر شوقي ضيف وسهير القلماوي من مصر ، وشكري فيصل من سوريا ، ومحمد الصالح الجابري من تونس ، وابا القاسم سعدالله وصالح خرفي وعبدالله الركيبي ومحمد ناصر من الجزائر ، وعباس الجراري من المغرب .

وخلاصة القول في المنهج التاريخي أنه تميز بما يأتي :

إن تطور وانتشار هذا المنهج عند العرب حدث بين اوساط الاكاديميين .

الربط بين النص الادبي ، وملابساته الخارجية

المبالغة قي التعميم .

الاستقراء الناقص .

الاحكام الجازمة .